مجلة الإحياء، المجلد 24، العدد: 34، جانفي 2024، ص - ص: 81-100
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

منهج القرآن الكريم في التأثير على الجمهور
سورة يوسف أنموذجا
The methode of the holy Qur'an in influencing the public, Surat Yousef as a model

طالب دكتوراه موعاد برجيحان[1] **المشرف: أ.د/ علي خضرّه**
Mouad BORDJIHANE **Ali KHEDOURAH**
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي
Bordjihane-mouad@univ-eloued.dz Ali.khedourah@gmail.com
إسهامات علماء الجزائر في إثراء العلوم الإسلامية، معهد العلوم الإسلامية جامعة الوادي (الجزائر)

تاريخ الإرسال: 2023/05/11 تاريخ القبول: 2024/01/31

الملخص:

تضمن البحث بيان منهج القرآن الكريم في التأثير على الجمهور، سورة يوسف أنموذجا؛ نبيّن فيه بمعونة الله وتوفيقه معرفة التأثير القرآني على جمهور الدعوة والأثر الذي يتركه فيهم من حلّ لمشاكلهم، وتفريج لهمومهم، وكشف للأزمات المحدثة المتجددة والمتعلقة بالمتغيرات الدولية المعاصرة، والتي أثّرت على شعوب العالم عامة وعلى أبناء الأمة الإسلامية خاصة، حيث نجعل من القرآن سد حصين ومنيع نرد به الكيد العدائي، والهجوم الشرس على الإسلام ومعتنقيه، وهذا الجهد أبرز فيه الآليات التأثيرية على الجمهور، والمنهج الذي اتبعه القرآن في التعامل معه، وأعرض فيه آيات قرآنية من سورة يوسف كنموذج لتتضح الصورة كاملة، وتصل الرسالة مفهومة.
وقد سرت في هذا البحث على خطة متمثلة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة فيها نتائج وتوصيات.

الكلمات المفتاحية: المنهج؛ القرآن؛ الجمهور؛ التأثير؛ سورة يوسف

Abstract:

The research included an explanation of the approach of the Holy Qur'an in influencing the public, Surat Yusuf as a model. To know the Qur'anic influence on the audience of the call and the impact it leaves on them in terms of solving their problems, relieving their concerns, and revealing the emerging and renewed crises related to contemporary international changes, which affected the peoples of the world in general and the sons of the Islamic nation in particular, whereby we make the Qur'an a fortified and impenetrable dam with which we respond to the hostile plot, And the fierce attack on Islam and its adherents, and this effort highlighted the mechanisms of influence on the public, and the approach that the Qur'an followed in dealing with it, and I presented in it Qur'anic verses from Surat Yusuf as a model for the full picture to be clear, and the message to be understood.
In this research, I followed a plan represented by an introduction, three topics, and a conclusion containing the results and recommendations of the research.

Key words: method; Qur'an; public; influence; surat yusuf.

[1]- المرسل المؤلف.

مقدّمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن وجعله شفاء للأرواح، منه تقشعر جلود الذين يخشون ربهم، ثم تلين قلوبهم وجلودهم إلى امتثال أوامره، واجتناب نواهيه فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر:23]، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي بعثه الله تعالى بهذا القرآن فهدى به من الضلالة، وفتح به قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وأذانا صمّا، وبعد:

فإنه من الأهمية بمكان معرفة آليات التأثير التي يوظفها القرآن الكريم في تعامله مع جمهور المدعوين، ولا يتم ذلك للمشتغلين بالبحث في كتاب الله تعالى إلا بفهم المنهج الذي رسمته آياته وهندستها الدعوية في إمالة الجمهور والتعامل معه، والتأثير فيه مهما اختلفت ألسنته، وتباعدت أوطانه، وتعددت أذواقه، وقد تنوعت الدراسات حول القرآن الكريم محاولة بيان معانيه، واستخراج لآلئه، فمن باحث في أحكامه، إلى باحث في حكمه، إلى باحث في تعاليمه المتعددة، ولا غرابة في ذلك فالقرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان وحال، وفيه نبأنا، ونبأ من قبلنا ونبأ من بعدنا، وقد أحببت أن أسهم مع هؤلاء الفضلاء الذين خدموا كتاب الله تعالى، فأتى هذا البحث حول منهج القرآن الكريم في التأثير على الجمهور سورة يوسف أنموذجا، فهي تشتمل على كثير من العظات والعبر ودروس حياة مفيدة للفرد، والأسرة، والمجتمع، وحتى لنظام الحكم والسياسة، إذا عملت بها جماهير الأمة الإسلامية وثقت بنفسها، وقنعت بما هي فيها من نعيم القرآن، واستغنت به عن غيره من ما قذفت به بحار فتن تلاطمت أمواج شبهها برمي زبد كله هجوم شرس على القرآن والسنة والمبعوث بهما نبينا محمد ﷺ مما تشهر له وسائل الإعلام والاتصال الحديثة التي يسيطر على أغلبها أناس همهم استقطاب الجمهور لزرع أفكارهم فيه، وخدمة أهدافهم الشخصية وإمرارها عبر بوابته، وذلك من خلال التأثير فيهم بأساليب وتقنيات تجعلهم سجناء هوى وعبيد شهوة باسم الحرية، ومتخلفين أخلاقيا باسم الحضارة والمدنية، بينما يزرع القرآن في أتباعه خصال الشفافية والمصدااقية والموضوعية والحب للغير ما تحب النفوس لنفسها، بلا استغلال للآخر، أو تكليفه ما ليس في وسعه، هذا وغيره من نعم القرآن التي لا تعد ولا تحصى، هو ما يدعو إليه القرآن ليبني إنسانية تحقق حسن معاشها في الدنيا وحسن معادها في الآخرة، ويعد تأثر النفوس جبلّة فطر الله الناس عليها، فإذا استغلناها أحسن استغلال أثمر لنا جمهورا له مبادئ راسخة ثابتة كالجبال لا تزلزله رياح متغيرات العصور مهما عصفت بالخرافات والفتن والشبهات، وأنتج لنا حضارة حقيقة لا وهمية، وراقية لا ورقية، حضارة راشدة دستورها القرآن الكريم الذي تأثر به الجن وشهدوا بهدايته إلى صراط الله المستقيم، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ (29) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الأحقاف:29-30] ولو نزل على جماد كالجبال لتصدعت من شدة التأثر به قال تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر:21] وأمة الإسلام تملك من القدرات والمؤهلات المختلفة ما يجعلها قادرة لقيادة البشرية في عصرنا كما قادتها في القرون الثلاثة الأولى المفضلة التي اعتمدت القرآن كمنهج للحياة ووسيلة للتأثير.

أ- إشكالية البحث:

مما لا يختلف فيه عاقلان أنّ الحياة المعاصرة تغيّر شكلها بالنظر إلى الماضي، فأصبح كل من يستطيع أن يدعو إلى فكره ومنهجه يوظف وسائله سواء المالية، أو الإعلامية، أو السياسية، أو غيرها

لغرض استقطاب الجمهور وتخصيب أرضية جماعته والمنتسبين إلى مؤسسته، ولو على حساب اختراق المعتقدات، ومحو العادات، التي تخص الأمم والمجتمعات؛ خاصة تلك التي أطلق عليها أنها متخلفة أو سموّها بالعالم الثالث، وبالأخص الدول المسلمة، أو الأقليات المسلمة في الدول غير المسلمة، التي شجعوا فيها الجهل، والشبهات، والشكوك حول الإسلام، ورسموا صورة للمنهج الإسلامي القرآني الرباني على أنه لا يصلح للحياة المعاصرة، وأنّ أحكامه فيها الوحشية، ونسبوا إليه الإرهاب والعنف، مستغلين في ذلك ممارسات بعض العاميّين، أو المنتسبين إلى العلم الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا للإسلام وهم في الحقيقة يسيئون إليه، وأثّر ذلك على غير المسلمين، وحتى في بعض ضعاف النفوس من أبناء الأمة الإسلامية، والمسلمون الصادقون المخلصون أينما كانوا على سطح هذه البسيطة يعتقدون في الإسلام ومصدريه الأساسين لتعاليمه - القرآن والسنة- خلاف ذلك؛ فكان لزاما الغوص في آيات القرآن الكريم لاستخراج لآلئ المنهج القرآني، وسقي بذرة حياة التأثير في الجمهور من خلال القرآن الكريم؛ سواء في ضعاف النفوس من المسلمين الذين سلخهم فكر غيرهم، أو غير المسلمين الذين يرون الإسلام بمصدريه ورسوله رؤية خاطئة صنعها في أذهانهم حسّاد مرجفون ذكرنا بعض مخططاتهم آنفا، وهذا ما يدفعنا إلى الإجابة على هذا التساؤل: ما مدى تأثير القرآن الكريم بمنهجه في الجمهور؟ وقد اخترت في بحثي للإجابة على هذا التساؤل سورة يوسف – عليه السلام- أنموذجا لما فيها من تأثير عجيب في النفوس، وتسلسل محكم في الأحداث، يعيشها متدبر تلاوتها بقلبه وجوارحه.

ب- أهمية الدراسة:

كم هو مهم الاهتمام بمثل هذه الدراسات التي لها صلة وثيقة بالمكلف وخاصة في هذا الزمان الذي تتجدد فيه الحياة في ظل المتغيرات الدولية المعاصرة التي تستهدف الجماهير لنصرة مذاهب من وهو وراء الستار، ونشر أفكار تنفذ إلى الأعماق وتسكن الوجدان، فكان لزاما على الدعاة إلى الله سواء علماء أو باحثين أو مثقفين معرفة كيفية التأثير في الجمهور واستقطابه إلى رحمة الإسلام وسعته وعدله.

ج- الدراسات السابقة:

حسب ما بحثت وفي حدود ما توصل إليه علمي لم أجد دراسة سابقة بمثل هذا العنوان، وكل ما وجدت دراسات لبعض الباحثين متعلقة بالإعجاز التأثيري، أما كدراسة لآليات التأثير ومنهج القرآن في التعامل مع جمهور الدعوة من خلال هذه الآليات التي سأذكرها في هذا البحث في سورة يوسف كنموذج فلم أقف على شيء من ذلك.

د- أهداف البحث:

تكمن أهداف البحث في الآتي:

1- بيان صلاحية المنهج القرآني لكل زمان ومكان وحال من خلال سورة واحدة فيه، وما بالك كل سور القرآن الكريم.

2- إبراز التأثير العجيب في نفوس من يتدبّر القرآن الكريم ويتلوه حقّ تلاوته.

3- توجيه رسالة نفسية تأثيرية حضارية إنسانية من خلال سورة يوسف -عليه السلام- إلى أولئك المخدوعين من البشر الذين يظنون بأن الانتقال من الشقاوة إلى السعادة، ومن الذّل إلى العزّة والكرامة يكون بالابتعاد عن منهج القرآن الكريم.

هـ- منهج البحث:

المنهج المتبع في دراسة هذا البحث هو المنهج الوصفي الاستنباطي؛ الوصفي لكونه الأنسب لسرد أحداث ووقائع من سورة يوسف، ثم الاستنباطي حيث قمت بقراءة آيات سورة يوسف وأحاديث نبوية ذات علاقة بموضوع الدراسة وفهمها؛ لتحديد آليات التأثير المستنبطة من الأدلة واستخراجها، محاولا استنباط أفكار تبني هذا الموضوع وتخدمه.

و- خطة البحث:

وقد سرت فيه على خطة تتكون من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة يليها قائمة المصادر والمراجع.

المقدمة وتحتوي على: تمهيد للموضوع، وإشكالية الموضوع، وأهداف الموضوع، ومنهج البحث فيه.

المبحث الأول: بيان معاني المصطلحات المتعلقة بالبحث.

المبحث الثاني: آليات ومنهج القرآن الكريم في التأثير على الجمهور من خلال سورة يوسف.

المبحث الثالث: نماذج من سورة يوسف في آليات التأثير على الجمهور.

الخاتمة وفيها أبرز النتائج والتوصيات.

المطلب الأول: التعريف بالمنهج

المنهج لغة: يطلق ويراد به الطريق المستقيم الواضح البيّن، جاء في لسان العرب: وأنهج الطريق: وضح واستبان، وصار نهجا واضحا بيّنا؛ قال يزيد بن الخذّاق العبدي: ولقد أضاء لك الطريق، وأنهجت سبل المكارم، والهدى تعدي.

والمنهاج: الطريق الواضح، واستنهج الطريق: صار نهجا...أي واضحة بيّنة [1]

المنهج اصطلاحا: تنوعت تعريفات العلماء للمنهج بين القدامى والمعاصرين فعرّفه من القدامى على معنى المدلول اللغوي للكلمة ابن جرير الطبري فقال: أن أصل المنهاج الطريق البيّن الواضح[2]. وكذلك ابن كثير قال: أما المنهاج فهو الطريق الواضح[3]، وبنفس التعريف عرّفه من المعاصرين وهبة الزحيلي فقال: ومنهاجا طريقا واضحا[4].

وعرّفه بمعناه العام عبد الفتاح الخالدي فقال: الخطة العلمية الموضوعية المحددّة المرسومة الدقيقة التي يتعرف عليها الباحث أو الدارس ويقف على قواعدها وأسسها، ويلتزم بها، لتكون دراسته علميّة منهجيّة موضوعيّة صحيحة[5].

وأما تعريفه بالمعنى الخاص فلا فرق بينه وبين التعريف العام عند المشتغلين بالدراسات القرآنيّة إلا في مجال البحث؛ فيدور على معنى الطريقة، والخطة والأسس المنهجية المرسومة لبلوغ الهدف المنشود.

فعرّف أبو الفتح البيانوني مناهج الدعوة بقوله: نظم الدعوة، وخططها المرسومة لها[6].

وعليه فيمكن القول بأن المنهج في بحثنا هذا نعني به: الطريق البيّن الواضح، والطريقة المستقيمة المرسومة من طرف القرآن الكريم للتأثير في جمهور المدعوين واستمالة قلوبهم إلى الإسلام من خلال آياته، وقد اخترت سورة يوسف - عليه السلام- أنموذجا.

المطلب الثاني: مفهوم التأثير

المقصود بالتأثير في اللغة: إبقاء الأثر في الشيء، وأثّر في الشيء: ترك فيه أثرا[7].

قال ابن نباتة المصري:

قد أثرت ما يسرّ الدّين أحرفها ... وللحروف كما قد قيل تأثير[8]

فإذا كان التأثير مأخوذ في اللغة من الأثر الذي يدل على علامة الشـــيء فإنه بهذا المعنى جاء في القرآن الكريم في أكثر من موضع كقوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: 29]، وفي تفسيرها قال الطبري - رحمه الله-: قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن يقال: إن الله عز وجل أخبر نبيَّه ﷺ أنه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم، وإنما كان النبيُّ ﷺ يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعيان، فيعرفُهم وأصحابه بها، كما يُدرك المريضُ فيعلم أنه مريض بالمعاينة[9].

المقصود بالتأثير في هذا البحث: القوة التي يملكها القرآن الكريم في تواصله مع جمهور المخاطبين، وما يحدثه ويبقيه من أثر في نفوسهم وسلوكهم وتوجيهاتهم، مهما اختلفت أصنافهم، ومستوياتهم بدءا بالعالم والجاهل، في العرب والعجم، والإنس والجن، في كل زمان ومكان وحال، فالقرآن الكريم يوظف آليات تأثيرية يدعو بها جمهور المدعوين إلى الحق، ويوضحه لهم، ويبرهن عليه بما يكون سببا في الاستجابة له والاطمئنان إليه؛ ليصحّح معتقدا فاسدا، أو سلوكا خاطئا، أو كلاما معيبا، أو يأتي بتشريع يناسب الحاضر والمستقبل على خلاف ما كان عليه من سبق من الأمم؛ لأخذ العلم، أو الاعتبار، أو التدافع، أو التحمّل، وبيان طريقة تأثير كل آلية في الآلية الأخرى وتأثرها به، وهذا ما سنوضحه بعون الله في هذا البحث، فكل ما في كتاب الله تبارك وتعالى من توجيه وتبصير للقلوب يقوم على التأثير لا على الإكراه، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: 256]، والتأثير حاضر في القرآن الكريم بمعانيه المتعددة في مواضع كثيرة والتي منها بمعنى السيطرة على النفس في قول إخوة يوسف من أبيه وهم يصيفون فارق الحب بينهم وبين يوسف –عليه السلام- وأخيه من طرف أبيهم يعقوب -عليه السلام- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف:8]، جاء في تفسير هذه الآية : سيطر الشيطان على نفوسهم، فحرّك الحسد إلى أقصى غايته فابتدءوا تدبيرهم[10]، ويقول سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: إذ يؤثر غلاما وصبيا صغيرين على مجموعة الرجال النافعين الدّافعين[11].

وسورة يوسف نموذج لفهم آليات التأثير المتنوعة والتي لها رابطة قوية ببنية الإنسان إن على المستوى البدني، أو العقلي، أو الوجداني، أو السلوكي، كما تبيّن تفاعل هذه المستويات فيما بينها، وما الكيد، والرمي في البئر، والادعاء، والبكاء، والقلق، والوحشة، والابتهاج، والابتلاء، والانقياد للحق في النهاية إلا برهانا بيّنا على ذلك.

المبحث الثاني: آليات ومنهج القرآن الكريم في التأثير على الجمهور من خلال سورة يوسف -عليه السلام-

المطلب الأول: آليات التأثير على الجمهور من خلال سورة يوسف - عليه السلام-

جعل الله تبارك وتعالى القرآن الكريم منهج حياة، وأرشدنا إلى أن نسير على هذا المنهج إذا ما أردنا التمكن في الأرض، والسعادة والفلاح والنّجاة في الأولى والآخرة، وعلى هذا فما من آلية للتأثير بها نتعلّم، أو نعتبر، أو نتفاعل أو نتفاءل، أو تدفع عنّا شرا، أو نتحمّل بها أذى وبلاء، إلا دلّنا عليها، وأخبرنا بها، كما سيتضح لنا في ما سنبحثه في سورة يوسف – عليه السلام- فيما يلي:

1- آلية التعلم والتعليم: لا يخفى على كل ذي لب وبصيرة ومنصف أنّ الإسلام دين العلم والبيان والتعقل وتنبيه الغفلة، وحسبنا دليلا على سبيل الإيجاز لا الحصر أوّل آية نزلت فيه، وخاتمة الآيات الثلاثة

الأولى في سورة يوسف حيث ختمها المولى تبارك وتعالى بقوله: ﴿الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، وقوله: ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾، كما دعا المولى تبارك وتعالى عباده الداعين إليه بأن يدعو على البصيرة والعلم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]، وحثّ النبي ﷺ على تعلم القرآن وتعليمه ففي ذلك الخيرية فقال: (خيركم من تعلم القرآن وعلمه)[12]، وأخبر كذلك ﷺ بأن العلم يفضل العبادة؛ لأنّ أثر العلم يتأثر به الغير فقال ﷺ: (لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلي مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم بابا من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلي ألف ركعة)[13]، وأقصد بالعلم هنا كل ما ينتفع به البشر في دينهم وعاجلهم وآجلهم، وكل ما يحتاجون إليه لقوام دينهم ودنياهم من علوم الشرع، والطب، والفلك، والفيزياء، والكمياء، والإعلام الآلي،...إلخ من العلوم التي تنفع جمهور المجتمع المسلم، مع مراعاة الفارق بين ما يترك أثرا للفلاح عند الله من العلوم الشرعية الصحيحة، وما يضع بصمة ويكون وسيلة لتحقيق مصالح المجتمع ودفع الفساد عنه من العلوم الكونية المختلفة، وفضل التعلم والتعليم شهد له الأوائل من السلف قبل الأواخر من الخلف فقد كان أبو الدرداء ﷺ عنه يقول: ما لي أرى علماكم يذهبون، وأرى جهّالكم لا يتعلمون، إنّ معلم الخير ومتعلّمه في الأجر سواء، ولا خير في سائر الناس بعدهما[14]، ولهذا نجد أن أسرع الناس لتعليم الناس ما علمهم الله هم الأنبياء وهذا واضح جلي في يوسف -عليه السلام- في تأويل الرؤى للسجناء وملك مصر، والخطة الاقتصادية في السبع الشداد، وتعامله مع إخوته حينما مسّهم الضرّ، بعدما صار عزيزا ومكّنه الله تبارك وتعالى في الأرض بالعلم الذي علّمه إيّاه وواجه به الحياة، جاء في تفسير الظلال: "وأوتي علماً بمصائر الأحاديث أو بتأويل الرؤيا، أو بما هو أعم، من العلم بالحياة وأحوالها، ... وقد أوتي صحة الحكم وأوتي العلم - رحمة من الله- ليواجهها وينجو منها جزاء إحسانه الذي سجله الله له في قرآنه"[15]، وعليه فهذه الألية تولد الإحسان، والإحسان يؤثر في الإنسان.

2- آلية الاعتبار: اهتم القرآن الكريم بالاعتبار حيث جعله آلية الوعظ والتأثير، فجاء ذلك في عدّة مواضيع منها ما ورد في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]، والاعتبار هو أن يَعبُر الإنسان بِلُبه وفكره وبصره مما يجهل إلى ما يعلم؛ ليستفيد من أحداث ووقائع وتجارب سابقة عاشها غيره من الناس حتى لا يقع في زلات وخسائر لا يحمد عقباها، جاء في تفسير الظلال أنه: "لا بد من بصر ينظر وبصيرة تتدبر، لتبرز العبرة، وتعيها القلوب، وإلا فالعبرة تمر في كل لحظة في الليل والنهار"[16]، وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: تفكر ساعة خير من قيام ليلة[17]، فيوسف –عليه السلام- عاش كيد الكائدين، ووحشة المستوحشين في غيابات الجب، وفي كل ذلك عبرة لمن يعتبر، وأثر صدق لم يتأثر، فمن لم يعتبر بغيره اعتبر غيره به، قال البقاعي في نظم الدرر: "ولما كان في غاية الغرابة أن يفعل الإنسان في نفسه كما يفعل فيه عدوه، سبب عن ذلك قوله: {فاعتبروا} أي احملوا أنفسكم بالإمعان في التأمل في عظيم قدرة الله تعالى على أن تعبروا من ظواهر العلم في هذه القضية بما دبر الله في إخراجهم إلى بواطن الحكمة بأن لا تعدوا لكم ناصراً من الخلق ولا تعتمدوا على غير الله، فإن الاعتبار - كما قال القشيري – أحد قوانين الشرع، ومن لم يعتبر بغيره اعتبر به غيره"[18]، ولهذا كان نبينا محمد ﷺ من أشد الناس اعتبارا وتأثرا بما أنزله الله عليه من القرآن الكريم وما أودعه الله تبارك وتعالى في هذا الكون من دلائل قدرته وعظيم صنعته؛ لذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها- عن ما أثّر فيها من ما رأته في النبي ﷺ ساقت هذا الحديث الذي يقول فيه التابعي الجليل عطاء بن رباح: دخلت أنا وعُبيد بنُ عُميرٍ على عائشةَ

فقالت لِعبيد بنِ عُميرٍ: قد آن لك أنْ تزورَنا فقال : أقول يا أمَّه كما قال الأوَّلُ: زُر غِبًّا تزدد حُبًّا قال : فقالت: دعُونا مِن رَطانتِكم هذه قال ابن عمير : أخبِرينا بأعجَبِ شيءٍ رأَيْتِه مِن رسولِ اللهِ ﷺ قال: فسكَتَتْ ثمَّ قالت: لَمَّا كان ليلةٌ مِن اللَّيالي قال: (يا عائشةُ ذَريني أتعبَّد اللَّيلة لربِّي) قُلْت: واللهِ إنِّي لَأُحبّ قُرْبَك وأُحِبُّ ما سرَّك قالت: فقام فتطهَّر ثمَّ قام يُصلِّي قالت : فلم يزَل يبكي حتَّى بَلَّ حجرَه قالت : ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ لِحيتَه قالت : ثمَّ بكى فلم يزَل يبكي حتَّى بَلَّ الأرضَ فجاء بلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاة فلمَّا رآه يبكي قال : يا رسول الله لِمَ تَبكي وقد غفَر اللهُ لك ما تقدَّم وما تأخَّر ؟ قال: ﴿أفلا أكون عبدًا شكورا لقد نزَلَت علَيَّ اللَّيلة آية، ويل لِمَن قرَأها ولم يتفكَّر فيها إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: 190] الآية كلَّها[19]، يقول سيد قطب في مدى تأثير آيات هذه السورة :" هكذا يتجلى العنصر الإنساني في القصة، التي لم تسق لمجرد الفن، إنما سيقت للعبرة والعظة، وسيقت لتعالج قضية العقيدة والدعوة، ويرسم التعبير الفني فيها خفقات المشاعر وانتفاضات الوجدان رسماً رشيقاً رفيقاً شفيفاً، في واقعة كاملة تتناسق فيها جميع المؤثرات وجميع الواقعيات في مثل هذه النفوس، في ظل بيئتها ومؤثرات هذه البيئة كذلك"[20].

3- آلية التدافع: بدأ الصراع بين الخير والشر، والحق والباطل يوم خلق الله آدم- عليه السلام- وحسده إبليس - عليه لعنة الله- وسنة التدافع من القضايا المهمة التي ينبغي أن يهتمّ بها العقلاء الذين يشتغلون بالعلم خاصة، وكذلك المسلمين عامة الذين يسعون إلى تحقيق مآربهم المستقبلية، ويطلبون الاستقرار في حياتهم العاجلة والراحة من كل شرّ يوم يدخلون الآجلة، وإنّ الغفلة عن فقه هذه القضية يؤثر سلبا في الداعي، وجمهور الدعوة، ويُوَلِّدُ نفورا ويزرع فوضى لا يدرى بعد ذلك ما المفيد وما الضار، وعليه فالاعتناء بفهم آلية التدافع وغيرها من الآليات فيه رسم لمنهج حياة سعيدة ملئها الإيمان والحب والتعاون والبذل والعطاء في دار الدنيا، ورضا الله ودخول الجنة في دار الآخرة، وأمر التدافع مخلوق في هذا الكون ولابد من حصوله، ولكن الله مع الحق لا مع الباطل قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: 251]، وقال تعالى: ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [الشورى: 24]، ومن هنا نفهم من القرآن الكريم أنّه ينقل لنا هذه الحقيقة واضحة في آيات كثيرة منها ما جاء في هذه السورة التي نحن بصدد دراستها، فيوسف -عليه السلام- رفع الله تبارك وتعالى عنه الظلم والباطل، ورد عنه المكائد في مواطن متعددة فمثلا لما أرادت امرأة العزيز أن تتهمه زورا وتلحق به ضررا هو منه بريء أيّده ربنا جل جلاله بمن شهد ببراءته ودفع عنه البهتان قال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (26) وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (27) فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: 26-27-28]، وكذلك لجوء إخوة يوسف -عليه السلام- إلى عزيز مصر الذين يجهلون أُخوَّتَهم له؛ ليدفع عنهم وعن أهلهم الضّر الذي نزل بهم، لهو خير مثال عن إحقاق الحق في النهاية واضمحلال الباطل وزواله عند تَمكُّن عوامل آلية دفع الحق - ليعلو على صوت الباطل- والتي منها الصبر على الابتلاءات مع احتساب الأجر والتيقن أنّ العاقبة للمتقين قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 88-89-90]، وكذلك ما ألهمه الله به ليدفع عن أخيه ضر إخوته، ويأخذه للعيش في دولة هو بعيد عنها: ﴿كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 76]، وعليه فأيّما داعية يريد أن يؤثر

فيمن يدعوهم أفراد أو جمهورا في كل زمان ومكان وحال عليه أن يخطط وفق هذه الآلية ويفهمها حسبما يدفعه إلى بلوغ ما يسعى إلى تحقيقه من الحق والنصح والتوجيه والإرشاد والتأثير في كل أحد؛ لأن استمرار الحياة الطيبة وتفوق الطيبين وتغلبهم على المفسدين مرهون بهذه السنة الجارية في البشر، جاء في تفسير المراغي: "ولولا دفع الله أهل البغي والجور والشرور والآثام بأهل الإصلاح والخير، لغلب أهل الفساد وبغوا على الصالحين، وأوقعوا بهم وصار لهم السلطان فى الأرض، .فكان من رحمة الله لعباده وفضله عليهم، أن أذن للمصلحين بقتال البغاة المفسدين وهو سبحانه جعل أهل الحق حربا لأهل الباطل، وهو ناصرهم ما نصروه وأصلحوا في الأرض وقد نسب عزّ اسمه الدفع إلى نفسه، لأنه سنة من سننه في المجتمع البشري، وعليه بنى نظام هذا العالم حتى يرث الله الأرض ومن عليها"(21).

4 - آلية الاحتمال: من الأخلاق التي تقضي على الكثير من المشاكل بين الناس خلق الاحتمال الذي يفيد كظم الغيظ عن الشـــيء حتى يحقق الله به خيرا كثيرا ويترك أثرا إيجابيا في نفســية من تبادرت منه الأذية، فقد يبتلى الإنســان بأحب الناس إلى قلبه، أو قريبه، كما يبتلى بالبعدين عنه وبالمفتونين به، وهذا ما حصل لنبي الله يوسف -عليه السلام- فقد لقي أعمق الأذية وابتلي بإخوته، ثم بامرأة العزيز حتى أودت به الســجن ظلما ولكن هيهات، ما من ليل إلاّ وأعقبه النهار، وكل ما هو آت قريب، فقد انقلبت الموازين، فصار يوسف -عليه السلام- في عزة بعد محنة، وفي نعمة بعد نقمة، بعدما قابل السيئ بالحسن، فإخوته قال لهم كما قال الله تعالى: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوســـف: 92]، وامرأة العزيز لم يسمّها بعينها ولم يذكر أنّها سبب سجنه، ولا عيّن امرأة أخرى من النساء التي شاركنها في الجريمة بل بكل أدب ومراعاة لمشاعر وحرمة من افتتن به، ذكر ما لحق بالنساء من ضرر ولم يذكر محنته وظلمه، كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50]، كل هذا لم ينقل لنا القرآن مثله في زمان يوسف عليه السلام - إلا منه، وكيف لا وهو الكريم اين الكريم ابن الكريم، الذي تحمّل مرارة التعدي في حقه لوحده، وبســمو ورفعة وعظمة أخلاق تنازل عن الثأر وكظم الغيظ، فزاده ذلك بفضــل الله تبارك وتعالى تمكينا في الأرض وهذا ما شهد به إخوته حيث نقل القرآن الكريم عنهم قولهم: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ [يوســـف: 91]، وشـــهدت به امرأة العزيز كما قال الله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51]. فكما قيل: انقلب السحر على الساحر، فبعد كل ما نسجته امرأة العزيز ونساء مصر من المكائد والدسائس، وتلقي يوسف – عليه الســلام- لذلك بالصــبر والتحمل، ذهب نزغ الشــيطان من نفوس نســاء مصــر، وعدنا إلى رشــدهنّ وبادرن بتزكية يوسف -عليه السلام- وتطهير ساحته، جاء في تفسير الشعراوي لهذه الآية: " قالت ذلك حتى تُعلِنَ براءة يوسف عليه السلام، وأنها لم تنتهز فرصة غيابه في السجن وتنتقم منه؛ لأنه لم يستجِبْ لمُراودتها له، ولم تنسج له أثناء غيابه المؤامرات، والدسائس، والمكائد، وهذا يدلُّنا على أن شِرَّةَ الإنسان قد تتوهج لغرض خاص، وحين يهدأ الغرض ويذهب، يعود الإنســـان إلى توازنه الكمالي في نفســـه، وقد يجعل من الزَّلة الأولى في خاطره وسيلة إلى الإحسان فيما ليس له فيه ضعف" (22)، وهكذا يتوهج منهج القرآن الكريم بشعاع نور التأثير في النفوس فيطهرها ويهذبها وينقيها من أدرانها، فيقوي إيمانها بالفضيلة ويزيل عنها مكامن الشرّ والرذيلة.

المطلب الثاني: منهج القرآن الكريم في التأثير على الجمهور من خلال سورة يوسف ـ عليه السلام-

1- اختيار أحسن القصص: لمّا كان القرآن الكريم كتاب هداية للعالمين، ورحمة وشفاء لما في الصدور، كان من الضروري أن يجمع هذا الذكر الحكيم في سوره وآياته أساليب وآليات تأثيرية تتفاعل معها الأحاسيس، وتدركها العقول، وتأثر في النفوس، وتنطلق الجوارح للاقتداء بهديه وسلوك منهجه؛ لذا كانت فاتحة هذه السورة كمقدمة للرجوع إلى أحسن القصص في هذا الكتاب المبين لإيقاظ الإنسان من الغفلة، وتعليمه ما لا يعلم فقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: 03]، لكي تتأثّر النفس وتتشوّق وتهيأ لسماع ما تخاطب به، وهذه السورة تضمنت فوائد كثيرة، وعبر وعظات متنوعة، تشمل جوانب الدين كله من عقيدة، وشريعة، وأخلاق، قال ابن القيم: "وفي هذه القصة من العبر والفوائد والحكم ما يزيد على الألف فائدة"(23)، أقام الله تعالى بها منهجا أثبت به علمه بما في النفوس، وما يخالط القلب، وما تخفيه الصدور، من خلال ما جرى في حياة نبي الله يوسف –عليه السلام- مع إخوته، وامرأة العزيز، والسجناء، وتأويل الرؤى، والخطة الاقتصادية في بلد مصر التي كان مسئولا على خزائن أرضها وهو غريب عنها، وجملة محاسن الأخلاق من جهة يوسف -عليه السلام- وجملة المكائد من جهة إخوته، جاء في زهرة التفاسير: "وعبّر سبحانه بإثبات الغفلة، لَا بمجرد نفي العلم؛ للإشارة إلى أن هذا من دقائق العلم وعميقه الذي تغفل عنا، العلماء، إلا من يكون آتاه اللَّه تعالى وحيا من علام الغيوب؛ لأنّه علم بالنفوس، وخواطرها وما تختلج به الأفئدة"(24)، فوصف القرآن بأنه أحسن القصص لأنّ تاليه لا يُعييه، وسامعه لا يَملّه، فقد جمع الكمال والتمام، وترفع عن الزلل والخلل والنقصان، جاء في الأساس لسعيد حوى: "من الأسباب التي تجعل القرآن أحسن القصص أنّ غيره إمّا واقعي، أو خيالي، فإن كان خياليا فإنه لا يصلح أن يكون هاديا ولا موجها، ولا يصلح أن يكون ميزانا يوضع فيه كل شيء في محله، من عواطف، وعقلانيات، وغير ذلك، وإن كان واقعيا فقد يغيب بعضه أو يزاد عليه، أولا يكون مغطيا للموضوع بما يشمل الزمان والمكان، والغيب والشهادة، والدنيا والآخرة، أما القصة القرآنية فنجدها قد استكملت ما لم يستكمل في غيرها، هذا مع كونها جاءت بأبلغ عبارة، وأعظم أسلوب ، وأوجز عرض، هذا مع أنك تجد في كل آية من المعاني والتوجيهات والهداية مالم يحط به إلا الله الذي أنزله"(25).

2- نقل الأحداث بتدرج وتسلسل زمني ومكاني ومنطقي محكم: يعد سياق القرآن في نقل الأحداث الماضية سياق دعوي تشرعي، فقصصه وعبره وحكمه وأحكامه ليست لمجرد السرد والتمتع بل لغاية تحقيق حفظ مقصد من مقاصد الدين الإسلامي الحنيف، وبيان لكماله وتمامه، جاء في كتاب البيان في روائع القرآن: "ذلك بأن القرآن ليس كتاب قصص وإنما هو كتاب دعوة وتشريع فإذا جاء بالقصة فإنما يأتي بها في إطار الدعوة إلى الإيمان بالله وللإشارة إلى وحدة الدعوة رغم تعدد الأنبياء واختلاف الأزمنة والأقوام،... فهي ليست للمتعة ولا للتذوق الأدبي المجرد ولا لفرض منهج نقدي عليها أيا كان هذا المنهج لأن القصة القرآنية فريدة في طابعها وغايتها وتكوينها(26)، ومنهج تدرج الأحداث وعرضها في هذه السورة الكريمة وفق تسلسل زمني ابتداء من طفولة يوسف-عليه السلام- قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 4] إلى تولّيه زمام الأمور الاقتصادية في مصر وهو رجل بلغ أشده، حيث لا تسبق مرحلة حقها التقديم في هذه القصة مرحلة حقها التأخير، فمن الرؤيا إلى المحبة من أبيه، ثم الحقد والكراهية من إخوته، ثم إثارة الشهوة من امرأة العزيز، ثم العفة من الوقوع في الفاحشة، ثم دخول السجن، ثم تفسير رؤيا الملك، ثم الخروج من السجن ثم البراءة ، ثم تولّيه منصب وزارة الاقتصاد في مصر، ثم تأويل رؤيا الطفولة في النهاية قال تعالى: ﴿وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ

رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: 100]، كل هذا في نسق محكم ودقيق في سرد أحداث القصة وتتابعها وتجددها وتطورها، فهكذا كان منهج كلام الله سبحانه وتعالى من بداية نزول الوحي إلى آخره، فقد كان يأتي منجما حسب الوقائع والأحداث مراعيا الفروق بين البشر، ومُقدّرا لضعف الطبيعة الإنسانية وفطرته، وقاصدا بناء أفراد وأسر ومجتمعات صالحة، فقد قالت أمُّنا عائشة - رضي الله عنها-: "إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل، فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبدا"[27]، ومنهج التدرج في الدعوة إلى الله كان منهج الرسول ﷺ حتى مكّنه الله تبارك وتعالى في الأرض فكوّن جيلا لا مثيل بعده، وعليه فنقل الأحداث بتدرج وتسلسل زمني ومكاني ومنطقي محكم بالتمام والكمال في هذه القصة يعد لفتة جديدة منفردة لتنوع منهج القرآن بالنظر للقصص الأخرى في سوره، وهذا إن دلّ على شيء دلّ على براعة المنهج وتعجيزه وتحدّيه لكل كائن مهما كان أن يأتي بمثله، يقول سيد قطب: " فالقصص القرآني- غير قصة يوسف- يرد حلقات، تناسب كل حلقة منها أو مجموعة حلقات موضوع السورة واتجاهها وجوها، وحتى القصص الذي ورد كاملا في سورة واحدة كقصص هود وصالح ولوط وشعيب ورد مختصرا مجملا. أما قصة يوسف فوردت بتمامها وبطولها في سورة واحدة، وهو طابع متفرد في السور القرآنية جميعا، هذا الطابع الخاص يتناسب مع طبيعة القصة ويؤديها أداء كاملا ... إن قصة يوسف - كما جاءت في هذه السورة- تمثل النموذج الكامل لمنهج الإسلام في الأداء الفني للقصة، بقدر ما تمثل النموذج الكامل لهذا المنهج في الأداء النفسي والعقيدي والتربوي والحركي أيضا.. ومع أن المنهج القرآني واحد في موضوعه وفي أدائه، إلا أن قصة يوسف تبدو وكأنها المعرض المتخصص في عرض هذا المنهج من الناحية الفنية للأداء!"[28].

3- مناقشة المعتقدات وبيان الصواب منها من الخطأ: ما من نبي إلا وأيّده الله تعالى بمؤيّدات تدل على صدق دعوته إلى التوحيد وترك الشرك والكفر، فما تأويل الرؤى من يوسف-عليه السلام- وتمكينه في أرض هو غريب عنها وفي زمان السبع الشداد إلا من ذلك، فبعدما أدخل السجن وجد فيه من يعبد غير الله سبحانه ويتقرب إلى الأصنام، بدأ دعوته فيه بالمنهج الذي بدأ به إخوانه الأنبياء من قبله، فكان أول ما استفتح به تفصيل أمور العقيدة الصحيحة بصيغة التساؤل ولفت الانتباه بطريق المقارنة بين التوحيد في المعبود والتعدد في المعبودات كما في قوله تعالى: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 39-40]، يقول ابن تيمية: "أخبر - سبحانه- أن الأسماء التي سماها المشركون أسماء ابتدعوها: لا حقيقة لها، فهم إنما يعبدون أسماء لا مسميات لها؛ لأنه ليس في المسمى من الألوهية، ولا العزة، ولا التقدير شيء، ولم ينزل الله سلطانًا بهذه الأسماء؛ إن يتبع المشركون إلا ظنًا لا يغني من الحق شيئًا؛ في أنها آلهة تنفع وتضر، ويتبعوا أهواء أنفسهم"[29]، ويقول ابن القيم: "فإنهم سموها آلهة وعبدوها لاعتقادهم حقيقة الإلهية لها، وليس لها من الألوهية إلا مجرد الأسماء لا حقيقة المسمى، فما عبدوا إلا أسماء لا حقائق لمسمياتها، وهذا كمن سمى قشور البصل لحمًا وأكلها فيقال: ما أكلت من اللحم إلا اسمه لا مسماه، وكمن سمى التراب خبزًا وأكله يقال: ما أكلت إلا اسم الخبز، بل هذا النفي أبلغ في آلهتهم؛ فإنَّه لا حقيقة لإلهيتها بوجه"[30]، المشركون والكفار حياتهم بائسة ويعتريها الغموض، ونهارهم أظلم من ليلهم لتعلقهم بالمخلوق مثلهم ونسيانهم لخالقهم الذي لم يعترفوا له بالفضل ولم يشكروه، وهذا ما أراد يوسف - عليه السلام- أن يبيّنه للسجناء حينما شرع في بيان ملة التوحيد دين إبراهيم وإسحاق

ويعقوب، قبل أن يشرع في تأويل رؤاهم، قال عنه الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: 38]، جاء في تفسير المراغي: "أي لا ينبغي لنا معشر الأنبياء أن نشرك بالله شيئا فنتخذه ربا مدبرا معه ولا إلها معبودا من الملائكة أو البشر كالفراعنة، فضلا عما دونهما من البقر كالعجل أبيس أو من الشمس والقمر، أو ما يتخذ من التماثيل والصور لهذه الآلهة، (ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنا وَعَلَى النَّاسِ) أي عدم الإشراك من فضل الله علينا، إذ هدانا إلى معرفته وتوحيده في ربوبيته وألوهيته، بوحيه وآياته في الأنفس والآفاق، وعلى الناس بإرسالنا إليهم، ننشر فيهم الدعوة، ونقيم عليهم الحجة، فنهديهم سبيل الرشاد، ونبين لهم محجة الصواب، ونبعدهم عن طرق الغواية والضلال"[31].

4- الدعوة إلى التعاون، والتعايش والتضامن والعفو عن الزلّات لتحقيق الصلاح والإصلاح: دين الإسلام دين الدعوة إلى الصلاح والإصلاح والتعايش والتعاون على الخير وجلب المنافع، وقطع الطرق الموصلة إلى كل شر وفساد، سمته التضامن عند حلول الأزمات، هذا هو منهجه الذي يصوره لنا القرآن الكريم في آياته لبناء الفرد والأسرة والمجتمع ومن ثَمَ بناء حضارة إنسانية راقية، ومن هذه الصور في هذه السورة المباركة ما فعله يوسف- عليه السلام- مع إخوته الذين أذوه أشد الأذية، فلمّا نزلت بهم الفاقة وأصابهم الضر قابلهم بالرحمة بعدما عرّفهم بخطئهم في حقه وحق أخيه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ (88) قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ (89) قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ (90) قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ (91) قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (92) اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف: 88-93]، فالآية تبيّن نداء مستغيث وصاحب حاجة يطلب عطفا ورحمة ومساعدة ومعاونة ممن يرى فيه الخير وقضاء حاجته لعل الشكوى تأثر فيه، وتبيّن كذلك سرعة الاستجابة وعدم المآخذة بالزلة عند الاعتراف بالذنب وتقديم حسن السؤال في مقدمة الطلب، جاء في تفسير المراغي: "وقد شكوا إليه رقة الحال وقلة المال وشدة الحاجة وغير ذلك مما يرقق القلب مع أن مقصدهم التحسس من يوسف وأخيه- ليروا تأثير الشكوى فيه... وقد ذكّر يوسف إخوته بذنوبهم تذكيرا مجملا قبل أن يتعرف إليهم بذكر العذر وهو الجهل بقبح الذنب فى ذاته وبسوء عاقبته لتمكن نزغ الشيطان من أنفسهم الأمارة بالسوء، وقد ذكّرهم بطريق سؤال العارف المتجاهل على طريق التقرير لا التقريع والتوبيخ كما يدل عليه نفى التثريب والدعاء بالمغفرة " [32] ومنهج التراحم والتضامن في هذه الأمة وضع أسسه ودعا إليه محمد ﷺ أصحابه والمؤمنين جميعا حيث جاء عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)[33]، فإذا سادت مثل هذه الأخلاق في أبناء أمة الرسول ﷺ فإنّ تأثيرهم في غيرهم يَبلغ مسامع غيرهم قبل أن تُبلّغه ألسنتهم، ويقودهم إلى أن يتضامنوا ويتعاونوا ويتعايشوا مع غيرهم، يقول الشيخ محمد الطاهر بن عاشور في فائدة التعاون: "وفائدة التعاون تيسير العمل، وتوفير المصالح، وإظهار الاتحاد والتناصر، حتى يصبح ذلك خلقا للأمة"[34].

5- تعليم الأخلاق الفاضلة: إن القرآن الكريم بمنهجه السماوي الرباني يدعو إلى التحلّي بمكارم الأخلاق، فها هو خاتم الأنبياء والمرسلين صلوات ربي وسلامه عليه يمدحه الذكر الحكيم بالخلق العظيم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 04]، ويشهد بخلق الكريم يوسف-عليه السلام- بعد الشهادة بجمال خلقته،

قال تعالى: ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف: 51]، فالابتعاد عن الخيانة، والتحلّي بالصدق خلقان شهد بهما من كان سبب سجن النبي يوسف-عليه السلام- ومراودته ليفتتن في دينه، ولقد أوتي -عليه السلام- الشجاعة، وحسن التعبير في موقف لو كان فيه غير المخلصين لنافقوا في قول الحق مخافة البقاء في السجن، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: 50]، وتأثر به من في السجن وشهدوا له بحسن خلقه وميولهم إليه فقالوا عنه كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]، ولا يخفى على كل ذي لب الموقف الذي تعامل به يوسف - عليه السلام- مع إخوته حيث دفعهم ذلك إلى التأثر بما تبادر منهم تجاهه، والاعتراف بخطئهم في حقه، وقابل كل ذلك بالدعاء لله ليغفر لهم تواضعا منه، حيث ترك الثأر والانتقام ممن أذوه وهو في موضع القدرة عليه ، فأين تجد مثل هذا إلا عند من اصطفاهم الله للدعوة إليه من خيرة خلقه ابتداء من سادة البشر الأنبياء والرسل، ومن سار على نهجهم من الإنس والجن، وها هو سيد الثقلين محمد ﷺ "روي أنه لما دخل مكة صعد إلى باب الكعبة وأخذ بعضادتي الباب وقال: (الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ثم التفت إلى قريش وهم حواليه، فقال لهم: ما تقولون؟ فقالوا: نقول: أخ كريم وابن أخ كريم قد ملكت فاصنع ما شئت، قال عليه السلام: أقول ما قال أخي يوسف -عليه السلام - لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين أنتم الطلقاء) [35]، فحسن الخلق ميزة المرسلين والصالحين، ودعوة خاتم النّبيّين ، فقد قال - صلوات ربي وسلامه عليه -: (ألا أحدثكم بأحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة؟ " ثلاث مرات يقولها، قال: قلنا: بلى، يا رسول الله، قال: فقال: أحسنكم أخلاقا)[36]، وهذه الأخلاق الحميدة يجب على كل مسلم أن يتحلى بها اقتداء بنبيه محمد ﷺ، وبنبي الله يوسف - عليه السلام- حتى يكون من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ومنهم: (رجل دعته ذات حسب وجمال فقال: إني أخاف الله)[37]، رجل منعته عفته وإخلاصه لله من الوقوع في الحرام، تلك أخلاق المخلصين من عباد الله تبارك وتعالى أخلاق الرسل الذين اصطفاهم ربنا - جلّ جلاله- لحمل رسالته إلى الثقلين، ونبيّ الله يوسف-عليه السلام- منهم ، جاء في التفسير القرآني للقرآن: " ولم تقل النسوة: ما رأينا عليه من سوء وإنما قلن هذا القول: «ما عَلِمْنا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ» تأكيدا لطهره وعفّته، فإنهنّ لم يرين منه ما يسوء ولم يعلمن من أمره ما يشين.. سواء أكان ذلك معهن، أو مع غيرهن"[38]، شهادة جازمة في حق يوسف - عليه السلام- ملؤها اليقين والاعتراف بقمة التخلق بالعفة والترفع عن كل شين.

المبحث الثاني: نماذج من سورة يوسف عليه السلام - في آليات التأثير على الجمهور

القرآن الكريم كله مثال خالد لكيفية التعامل والتأثير في الجمهور، وسأعرض نماذج من سورة يوسف – عليه السلام - للتأثير في الجمهور.

النموذج الأول: تأثر يوسف -عليه السلام- بالرؤيا وقصّها لأبيه

يعتبر يعقوب – عليه السلام- بالنسبة إلى ابنه يوسف – عليه السلام- موطن ثقة، وقدوة صالحة تأثر به، واستودع فيه سرّه الذي أراه الله له في منامه وهو صغير، حيت رأى أنّ الشمس والقمر وأحد عشر كوكبا له يسجدون، فهذه الرؤيا العجيبة في مثل هذا السن أثارت دهشة يوسف – عليه السلام- فقصّها لأبيه، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ [يوسف: 04]، فما كان من الأب المشفق الناصح الأمين المتأثر بالخوف على ابنه يوسف –عليه السلام- من كيد إخوته إلى أن يقول له كما قال تبارك وتعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا

لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [يوسف: 05]، فهذا الجواب الذي قدّمه يعقوب ـ عليه السلام- يتمثل في منهج كتمان النعمة عن الحسّاد نجده أشارت إليه كثير من الآيات القرآنية في غير هذه السورة، وهو منهج يبيّن المسلك السديد في كيفية التعامل مع ما يجهل أمره من قضايا الحياة، وكيفية الإقبال على السائل الذي يرجى منه النصح والإرشاد، وخاصة إذا كان الأمر مهمّا يبيّت بسببه الشر والفتك، فما أحوج حياة كثير من جمهور الناس اليوم إلى مثل هذه الوصية الربانية التي لا غنى لهم عنها ليعيشوا في سعادة، وينالوا الحظ من قول المولى تبارك وتعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [يوسف: 06]، في هذا المثال نفهم أنّ يوسف –عليه السلام- جمع علمين علم من الله به يؤوّل الرؤى فيعلمها هو ثمّ يعلمها غيره، وعلم من أبيه في كيفية التعامل مع غيره ولو كان أقرب قريب، فيحقق لنا هذا آلية التعلم والتعليم لتفاصيل أمور في الحياة لا يعرفها إلا أهل الخبرة والتجربة، وهذا الذي قلته هو ما يؤكّده الماتريدي في تفسيره حينما تحدث عن دلالات علمية توجيهية من خلال هذه الحادثة حيث قال: "وفيه دلالة أن إخوته قد كانوا يعرفون تعبير الرؤيا، وكانوا علماء حكماء؛ حيث قال: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾، لأنهم لو كانوا لا يعرفون تأويلها ولا علموا تعبيرها لم يكن لينهاه عن أن يقص على إخوته؛ لأنه لو قصها أو لم يقصها إذا لم يعلموا سواء، وفيه دلالة أن الأخ لا يتهم في أخيه، ويكون من الأخ الخيانة إلى أخيه، والأب والأم يتهمان في الابن، والولد يتهم في والديه، ولا يكون من بعض إلى بعض خيانة في الغالب؛ لأن يعقوب نهى ولده يوسف أن يقصها على إخوته، وأخبر أنهم إذا علموا بذلك كادوه وحسدوه، ولم ينهه بمثله في أمه؛ دل أن الأخ لا يتهم في شهادة أخيه، ويتهم الأب والأم في شهادتهما لولدهما، وكذلك الولد يتهم في والديه"[39].

النموذج الثاني: تأثير معاملة إخوة يوسف ـ عليه السلام- في يوسف-عليه السلام- وأبيه

أشعل الشيطان نار الحسد في قلوب إخوة يوسف -عليه السلام- فلم يروا في يوسف-عليه السلام- إلا تأثرهم بما زعموه عن أبيهم بسببه، وغيرتهم منه، لا لذنب وإنما لمحبة يعقوب النبي-عليه السلام- له ولأخيه، فعميت أبصارهم، وأنساهم الشيطان رابطة القرابة وحق الأخوّة، وحملهم على إهانة جسد نبي شريف يمشي على الارض ألقوه في بطنها في قعر جب عميق، بعد مآمرة كادت تفرز قتلا ليوسف –عليه السلام- جريمة وضع مخطّطها ابليس اللعين ووجّههم فنفّذوها، ولكن هيهات أنّى يكون لشرّه التمكن، فرعاية وعناية الله حاضرة، ثم رقّة من في قلوبهم بذرة خير من العقلاء والرحماء كل ذلك سدّ حصين يحول بين إبليس والمخلصين من عباد الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (8) اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ (9) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: 10]، غيرّت الحالة النفسية سلوك الإخوة تجاه أبيهم فتوجهوا إلى التفاوض مع أبيهم منكرين عليه، وزاعمين تأثرهم بعدم ثقة أبيهم فيهم في منع يوسف -عليه السلام – من اللعب والمرح معهم، بل وأكّدوا له النصح والحفظ إذا ما أرسله معهم قال تعالى: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ (11) أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف: 11-12]، ولكن حدس التأثر بالحزن من طرف نبي الله يعقوب-عليه السلام – سبق تنفيذ مكيدة الإخوة لأخيهم، قال تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف: 13]، ولم يمنع هذا الشعور المسبق أن تغلب عاطفة البنوة عاطفة الأبوة، فانتهت المفاوضة بنجاح الأبناء في تفاوضهم، والتأثير على أبيهم وطمأنته بحسن رعايتهم لأخيهم، وتضحيتهم من أجله، فتنازل يعقوب -عليه السلام- عن حرصه، وسلّمه لهم؛ لتبدأ بعد ذلك

معانة الأب وابنه- عليهما السلام- بألم الفراق، والحزن والوحشة، والبكاء، في شبكة نسج خيوطها مؤثرين، وعاش ألمها متأثرين؛ قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 18]، تجرّع يعقوب – عليه السلام- الصبر وتولى عن أبناءه قال تعالى: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: 84]، لتعلّمنا هذه الحادثة المؤثّرة الاعتبار والتحمّل وكيفية التعامل مع الأفعال العاطفية التي قد تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه، والتي تنتجها تأثيرات إدراكية قد يكون باطنها خلاف ظاهرها، فما على الإنسان إلاّ تحمّلها وتجرعها، قال الرازي في تفسيره لهذه الآية: وكل ذلك يدل على أنه لما عظمت مصيبته وقويت محنته فإنه صبر وتجرع الغصة[40].

النموذج الثالث: تأثر امرأة العزيز وتعاملها مع يوسف- عليه السلام-

بعدما أخرج يوسف -عليه السلام- من أرض أبيه وموطن ولادته كعبيد بعد حرية، وكسلعة تباع وتشترى، وجد نفسه في بيت عزيز مصر معززا مكرّما، ولكن لم تَعبُر هذه العزة والكرامة مرحلة الشباب بسلام؛ ليجد نفسه في تأثير نفسي رهيب متمثل في إثارة غريزته الجنسية من بنات مصر ذوات منصب وجمال، بدأ من امرأة العزيز التي أحرق قلبها حب يوسف – عليه السلام- فراودته عن نفسه، فعاب عليها ذلك نسوة في المدينة وقعن في تأثير من خلقة يوسف-عليه السلام- أكبرنه حتى قطعنّ أيديهن، قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: 23]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: 31]، قال ابن كثير: يذكر تعالى ما كان من قبل نساء المدينة، من نساء الأمراء وبنات الكبراء في الطعن على امرأة العزيز وعيبها، والتشنيع عليها في مراودتها فتاها، وحبها الشديد له، وهو لا يساوي هذا لأنه مولى من الموالي وليس مثله أهلا لهذا ولهذا قلن (إنا لنراها في ضلال مبين) أي في وضعها الشيء في غير محله (فلما سمعت بمكرهن) أي بتشنيعهن عليها والتنقص لها والإشارة إليها بالعيب والمذمة بحب مولاها وعشق فتاها فأظهرن ذما وهي معذورة في نفس الأمر، فلهذا أحبت أن تبسط عذرها عندهن، وتبين أن هذا الفتى ليس كما حسبن، ولا من قبيل ما لديهن فأرسلت إليهن فجمعتهن في منزله... حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يحززن في أيديهن بتلك السكاكين ولا يشعرن بالجراح[41]، كل هذا لم يؤثر في إخلاص يوسف -عليه السلام- فخرج منتصرا من الفتنة في النهاية بعدما ثبته الله ونّجاه من كيدهنّ؛ لإخلاصه وأمانته، آثرا السجن ومحنته على الشهوة ونزوتها، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ (33) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [يوسف: 33-34]، وهذا المشهد يعلّم لجمهور المخاطبين آلية الاعتبار من خلال الحذر من المكائد، كما يعلّم أنّ تحمل محن الابتلاءات يأتي بعدها النصر والفرج بإذن الله تعالى .

النموذج الرابع: تأثر السجناء بيوسف - عليه السلام- وتعاملهم معه

وجد النبي يوسف الكريم ابن الكريم ابن الكريم نفسه في ظلمات السجن وهو شاب بعد ما خرج من ظلمة البئر وظلمة العبودية وهو صغير، وجد نفسه بين سجناء يستفتونه وهم متأثرين به وبما شاهدوه منه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: 36]، وما يلفت النظر هنا أنّ يوسف البرئ -عليه السلام- كلما ظلم من جهة أنصف من جهة أخرى، وهذا هو حال من يكون مخلصا تحيط به رعاية الله وحفظه في

كل زمان ومكان وحال قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: 24]، اغتنم يوسف -عليه السلام- فرصة تعلّق السجناء به فبدأ يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، متّخذا تعليمهم لتأويل الرؤيا كآلية للتأثير، وأسلوب الإنصات والتودد وتحمل نقائصهم والصبر على ذلك كله كآلية أخرى ليجذب قلوبهم إليه ويرضخها لاتّباع الحق الذي يدعوهم إليه؛ فخاطبهم بالصحبة، كما أخبرهم بأنه نبي يعّلمه الله ما لا يعلمون قال تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: 37-40]، جاء في أحكام القرآن للجصاص: " قوله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ الآية قال ابن جريج عدل عن تأويل الرؤيا إلى الإخبار بهذا لما رأى على أحدهما فيه من المكروه، فلم يدعاه حتى أخبرهما به، وقيل: "إنما قدّم هذا ليعلما ما خصه الله تعالى به من النبوة وليقبلا إلى طاعة الله"، وقد كان يوسف -عليه السلام- فيما بينهم قبل ذلك زمانا فلم يحك الله عنه أنه ذكر لهم شيئا من الدعاء إلى الله وكانوا قوما يعبدون الأوثان وذلك لأنه لم يطمع منهم في الاستماع، والقبول، فلما رآهم مقبلين إليه عارفين بإحسانه أمل منهم القبول والاستماع فقال: ﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ الآية وهو من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النمل: 125]، وترقب وقت الاستماع، والقبول من الدعاء إلى سبيل الله بالحكمة، وإنما حكى الله ذلك لنا لنقتدي به فيه"[42]، فالتأسي بالأنبياء في كيفية الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وكيفية اغتنام الفرص للتأثير في الجمهور، وحسن التعامل معهم، كل ذلك يقودهم إلى الإذعان للحق، وهذا ما يؤكد دور آليات التأثير في نشر الدعوة الإسلامية.

النموذج الخامس: معاملة يوسف -عليه السلام- لإخوته وتأثيره فيهم

بعدما لقي أخوا يوسف -عليه السلام- من إخوته بعض ما أصاب يوسف -عليه السلام- منهم، واتهموه ويوسف- عليه السلام- بالسرقة، كما قال الله تعالى عنهم في ذلك: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: 77]، وأبعدوه عن أبيهم كما أبعدوا يوسف -عليه السلام- قال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ [يوسف: 79]، وهو الأمر الذي خطط له نبي الله يوسف-عليه السلام- لإبقاء أخيه معه وضمّه إليه بمشيئة الله تبارك وتعالى، ودفع شرّ إخوتهم عنه، لكن من جهة الإخوة بعد فشل أسلوب محاولة التأثير في وجدان عزيز مصر الذي يجهلون هويته، ورفض اقتراحهم بأخذ أحد الإخوة مكان من اتهموه بالسرقة، عقدوا مجلس شورى لكيفية التأثير في أبيهم حتى يقبل حجتهم في ما اقترفوه من إخلافهم في الموثق الذي قطعوه له والمتمثل في الإتيان بأخيهم معهم أثناء رجوعهم من مهمتهم؛ لأن حجتهم ستكون ضعيفة ومشكوك فيها، وستذكّر أباهم بجراح الآلام التي لم تفارقه مذ غادره يوسف-عليه السلام- وبنفس الطريقة يُضَيّع أيضا ابنه الآخر فكيف يتحمل ذلك؟، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [يوسف: 80]، جاء في غرر البيان: "نفهم أن الأمر لما اعتاص على الإخوة والتوى، اعتزلوا جانبا، وعقدوا مجلس شورى يتبادلون الرأي فيه، وإن كان

السياق لم يذكر أقوالهم جميعا"[43]، وشدة تأثر كبيرهم بالمصاب واضح في هذه الآية الكريمة حيث قرّر معاقبة نفسه بمثل ما عوقب به أخوه بأن لا يغادر المدينة إلا بإذن أبيه كي يكون أيضا دليلا تقوى به الحجة ويدفع به التهمة عن قول إخوته، وهو من أشار عليهم بما يكلمون به أبوهم ليصدّقهم، فلما أخبروا يعقوب -عليه السلام- بما حصل لهم في سفرهم ما كان منه إلا أن يجيبهم بما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: 83]، نتعلم من هذا المشهد الذي جرى بين يوسف - عليه السلام- وأخيه وباقي إخوته وتعاملهم مع أبيهم آلية التدافع تتفيض منها جملة من الصور التأثيرية التي تفيدنا في حياتنا اليومية والتي منها:

- المقابلة بين أطراف الجريمة وإعلانها على الملأ سبب للنفور والإحجام عنها والتهرب من فضائحها.
- التأني في إصدار الأحكام واستدراج من يراد إصدار الحكم عليه حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع، ويتحقق العدل في القضية، كي يظهر أثر آلية دفع الشر بالخير في الحياة.
- حسن توظيف الأدلة، وحسن تقديمها، والتنويع فيها يزيد في تأكيد الحكم، وتعزيز ثقة الحاكم في المحكوم، وبلوغ الأثر العميق في الدعوات التي يقام عليها بيّنات عند كل عاقل يصله خبرها، يعلّمنا آلية التحمل إلى أن نبلغ الحقيقة التي نصبو الوصول إليها.

خاتمة:

إن المتمعن للنظر في آيات سورة يوسف -عليه السلام- يقف متيقنا في كيفية تأثير القرآن الكريم في من يسمعه أو يتلوه من خلال منهج عرضه للمشاهد والأحداث بتسلسل محكم، وتعامله مع الوقائع بتدرج مناسب يجعلك متشوقا لسماع ما بعدها من مجريات القصة، آخذا بالأفئدة والشعور إلى ذلك الزمان كأنك فرد في الحادثة، وما يزيد بهاء آيات هذه السورة أنك كلما قرأتها من جديد تذوقت فيها شيئا جديدا.

وفي ختام هذا البحث توصلت إلى النتائج التالية:

- ديننا الإسلامي دين التعامل يدعو جماهير الناس مهما كان لونهم ولسانهم ووطنهم إلى التواصل والتعارف والتعايش وتبادل المنافع قائما على شعار جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا.
- التأثير المقصود هنا ما يحدثه وما يبقيه القرآن من أثر في نفوس وسلوك وتوجيهات الجمهور والمتمثل في التعلم، والاعتبار، والاحتمال والتدافع.
- منهج القرآن الكريم فيه سعادة الجماهير، وحلول مشاكلهم، من خلال دعوتهم إلى التوحيد وترك الشرك، والتحلي بالأخلاق الفاضلة.
- القرآن الكريم نقل لنا أحداث الأمم السابقة مع أنبيائهم ورسلهم لا للمتعة والترفيه، وإنما لأخذ العبر والعظات.
- منهج التعامل مع الجمهور في القرآن الكريم لا يقوم على التنازل عن ما حرّمه الله تعالى، أو الانسلاخ من عادات وأعراف المسلمين التي أقرها الشرع واستبدالها بما لدى غيرهم من أعداء الإسلام.
- سورة يوسف نموذج واحد من النماذج الكثيرة في القرآن الكريم في كيفية التعامل مع الجمهور.
- منهج القرآن الكريم يقوم على التدرج في التشريع مراعاة لأحوال جمهور المخاطبين.

توصيات البحث:

ما يمكن أن أوصي به بعد معايشتي زمنا لطيفا رائعا مع هذه السورة الكريمة هو:

- على المشتغلين بالدعوة إلى الإسلام أن يكونوا في منهج دعوتهم على وفق منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة مستفيدين في ذلك من سيرة المصطفى ﷺ وأخبار الأنبياء والمرسلين التي وصلتنا عن طريق المصدرين الأصليين للإسلام - القرآن والسنة النبوية الصحيحة-.
- فقه آليات التأثير مهم لم أراد الدعوة إلى الإسلام، وخاصة الدراسات التي تهتم بفقه الواقع المعاش فلكل مقام مقال كما قيل.
- يستحسن فتح تخصص وتكوين طلبة في دراسة آليات التأثير في معاهد العلوم الإسلامية وفي الجامعات الإسلامية وخاصة في زماننا الذي ظهرت فيه أفكار شاذة هدّامة تأثّر بها بعض الناس كالمثلية، والإلحاد، وغيرها.
- توصي الدراسة بتوسيع دائرة مجالات البحوث في آليات التأثير في مختلف مجالات الحياة إن على مستوى الفرد، أو الأسرة، أو المجتمع، أو حتى في علاقاتنا مع غير المسلمين.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1- إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

2- إبراهيم حسين سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، بيروت، القاهرة، 1412هـ.

3- أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، 1425هـ 2004 م.

4- أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م.

5- أحمد بن عبد الله الأصبهاني أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، 1394هـ - 1974 م.

6- أحمد بن علي الرازي الجصاص، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م.

7- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1325هـ - 1946م.

8- أحمد محمود خليل الشوابكة، غرر البيان من سورة يوسف -عليه السلام- في القرآن، تقديم ومراجعة: أ.د/ أحمد نوفل - أ.د/ محمود السرطاوي – د/ صلاح الخالدي، دار الفاروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 143هـ - 2010م.

9- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى، 1408هـ.

10- إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ - 1999م.

11- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1993م.

12- جمال الدين بن نباتة، ديوان ابن نباتة المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

13- سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1405هـ 1985م.

14- صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1429هـ - 2008م.
15- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة.
16- مالك بن أنس، الموطأ، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1406 هـ - 1985 م.
17- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1415هـ - 1995م.
18- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمّد العمران، دار عطاءات العلم (الرياض)، دار ابن حزم ، بيروت، الطبعة الخامسة، 1440هـ - 2019م.
19- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ - 1999م.
20- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م.
21- محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي.
22- محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، الطبعة الخامسة، 1414هـ - 1993 م.
23- محمد بن الحسين القاضي أبو يعلى، المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين، تحقيق: عبد الكريم بن محمد اللاحم، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م.
24- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001 م.
25- محمد بن حبان، صحيح ابن حبان، تحقيق: محمد على سنومز، دار ابن حزم- بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ - 1412م.
26- محمد بن عمر الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ.
27- محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د/ مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1426هـ - 2005م.
28- محمد بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ.
29- محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م.
30- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ.
31- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي - الخواطر، مطابع أخبار اليوم.
32- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
33- وهبة بن مصطفي الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ.

الهوامش:

[1]- محمد بن منظور، المتوفى 711هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، 1414هـ، 383/2.

[2]- محمد بن جرير الطبري، المتوفى 310هـ، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2001م، 493/8.

[3]- إسماعيل بن كثير، المتوفى 774هـ، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ - 1999م، 129/3.

[4]- وهبة بن مصطفي الزحيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ، 214/6.

[5]- صلاح عبد الفتاح الخالدي، تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، دار القلم، دمشق، الطبعة الثالثة، 1429هـ - 2008م، ص17.

[6]- محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1415هـ - 1995م، ص46.

[7]- محمد بن منظور، لسان العرب، 5/4، وانظر محمد بن أبي بكر الرازي، المتوفى 666هـ، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، 1420هـ - 1999م، ص13.

[8]- جمال الدين بن نباتة، المتوفى 768هـ، ديوان ابن نباتة المصري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص185.

[9]- محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن، 29/5.

[10]- محمد بن أحمد، المتوفى 1394هـ، زهرة التفاسير، دار الفكر العربي، 3805/7

[11]- إبراهيم حسين سيد قطب، المتوفى 1385هـ، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة السابعة عشر، بيروت، القاهرة، 1412هـ، 1973/4.

[12]- محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، المتوفى 56هـ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، الطبعة الخامسة، 1414هـ - 1993 م، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم 4739، 1919/4.

[13]- محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، المتوفى 273هـ، سنن ابن ماجه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى، 1430 هـ - 2009 م، حديث رقم218، **148/1.**

[14]- أحمد بن عبد الله الأصبهاني أبو نعيم، المتوفى 430هـ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مطبعة السعادة - بجوار محافظة مصر، الطبعة الأولى، 1394هـ - 1974 م، 212/1.

[15]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 1979/4.

[16]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 373/1.

[17]- أحمد بن عبد الله الأصبهاني أبو نعيم، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، 202/1.

[18]- إبراهيم بن عمر البقاعي، المتوفى 885هـ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 411/19.

[19] - محمد بن حبان، المتوفى 354هـ، صحيح ابن حبان، تحقيق: محمد على سنومز، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، 1433هـ - 1412م، حديث رقم 7297، 722/7.

[20]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 1996/4.

[21]- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م، 225/2.

[22]- محمد متولي الشعراوي، تفسير الشعراوي – الخواطر، مطابع أخبار اليوم، 6990/11.

[23]- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، المتوفى 751هـ، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة، المغرب، الطبعة الأولى، 1418هـ - 1997م، ص210.

[24]- محمد بن أحمد، زهرة التفاسير، 3797/7.

[25]- سعيد حوى، الأساس في التفسير، دار السلام للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، 1405هـ 1985م، المجلد الخامس، ص2629.

[26]- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، (دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني)، عالم الكتاب، القاهرة، الطبعة الأولى، 1412هـ - 1993م، ص 551.

[27] - محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن، حديث رقم 4707، 1910/4.

[28]- سيد قطب، في ظلال القرآن، 1951/4.

[29]- أحمد بن تيمية، المتوفى 728هـ، مجموع الفتاوى، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، 1425هـ 2004 م، 259/2.

[30]- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد، تحقيق: علي بن محمّد العمران، دار عطاءات العلم (الرياض)، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الخامسة، 1440هـ - 2019م، 34/1.

[31]- أحمد بن مصطفى المراغي، تفسير المراغي، 147/12.

[32]- أحمد بن مصطفى المراغي، المتوفى 1371هـ، تفسير المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى، 1325هـ - 1946م، 32/13-34.

[33]- مسلم بن الحجاج، المتوفى 261هـ، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاضدهم وتعاطفهم، حديث رقم 2586، 1999/4.

[34]- محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984هـ، 88/6.

[35]- محمد بن الحسين القاضي أبو يعلى، المتوفى 485هـ، المسائل الفقهية من كتاب الروايتين والوجهين، تحقيق: عبد الكريم بن محمد اللاحم، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1985م، 365/2.

[36] - أحمد بن حنبل، المتوفى 241هـ، المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001م، رقم الحديث: 7036، 609/11.

[37] - مالك بن أنس، الموطأ، المتوفى 179هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1406هـ - 1985م، رقم الحديث: 14، 952/2.

[38]- عبد الكريم يونس الخطيب، التفسير القرآني للقرآن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1285/6.

[39]- محمد بن محمد أبو منصور الماتريدي، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، 208/6.

[40]- محمد بن عمر الرازي، المتوفى 606هـ، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420 هـ، 497/18.

[41]- إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي الطبعة الأولى، 1408هـ 1988م، 236/1.

[42]- أحمد بن علي الرازي الجصاص، المتوفى 370هـ، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م، 224/3.

[43]- أحمد محمود خليل الشوابكة، غرر البيان من سورة يوسف -عليه السلام- في القرآن، تقديم ومراجعة: أ.د/ أحمد نوفل - أ.د/ محمود السرطاوي – د/ صلاح الخالدي، دار الفاروق للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010 م، ص153.